وتنظيمات بورجوازية صغيرة متنوعة ، وبذلك تتعدد أدوات صراعها السياسي والمسلح بشكل لا يمكن مقارنته مطلقا بالطائفة المارونية .

اذا حاولنا تفسير هذه الظاهرة ، بمقارنتها ببعض مناطق الجبل المارونية ، حيث لا تزال الزعامات العائلية تلعب دورا أساسيا ، فان هذه المقارنة تسقط أمام واقع كون المناطق الرئيسيـــة لتواجد « السنة » هي المدن اللبنانية الكبـــرى : بيروت ، طرابلس ، صيدا ، حيث استكملت مرحلة الانتقال . أي ان هذه الظاهرة تختلف نوعيا عن الظاهرة الهامشية المارونية (بعض مناطق الجبل حيث لم تستكمل مرحلة الانتقال وبقيت العشيرة تلعب دورا سياسيا : الشمال الماروني مثلا) .

قد نقوم بمحاولة تقديم تفسير تاريخي : « فالطائفة » السنية لم تتكون كطائفة الا حديثا . أي بعد هزيمة السلطنة العثمانية بعد الحرب العالمية . لذلك فالوعي السني « الطائفي » هو وعي قومي ، بمعنى ارتباط مفهوم الامة بتراث ايديولوجي اسلامي واضح . ووجود الطائفة الحديث لا بد وأن ينعكس على تركيبها الداخلي . يساهم هذا التفسير التاريخي في تقديم اضاءة للمسألة ، لكنه لا يجيب عليها .

تعود هذه الظاهرة اذن الى سبب آخر : فالتفتت السياسي في الشارع السني يجري لحمه في ظروف محددة . أي في ظرف تأزم الصراع القومي مع الامبريالية . في هذه الحالة المحددة ، يلعب العامل القومـــي دوره في تفتيت الطائفة السنيـــة ولحمتها : تفتيتها : بمعنى طرح مهام تتجاوز الشرائح البورجوازية الكبيرة السنية وعلاقتهـــا بالتوزيع . ولحمتها : عبر اخضاع النضال القومي للأهداف المرحلية التي ترسمها هذه الشرائح البورجوازية . في ظل مستوى صراعي على الساحة القومية ، لا تستطيع فيه القيادة البورجوازية الوطنية لحركة التحرر العربي ، والتي في السلطة تجاوزه ، حين تصطدم بجدار التجزئة ، جدار قطع الجسور مع العدو الامبريالي . هكذا تعيد التجزئة والتوازن بين الاقطار العربية والامبريالية ، انتاج قيادة الشريحة البورجوازية الكبيرة للطائفة السنية .

ان هذه القيادة السياسية للطائفة ، لا توحد الطائفة الا في لحظات اختلال التوازن بين الاقطار العربية والامبريالية . لكنها لا تستطيع الاحتفاظ بقيادتها الا ضمن اعتبار شروط التجزئة كمعطى لا يطرح على بساط البحث .

توضح ثورة ١٩٥٨ بالتجربة التاريخية ، صحة هذا التحليل . فاختلال التوازن اللبناني ، كان نتيجة مباشرة للمد القومي الذي أطلقته الحركة الناصرية بنضالاتها ضد الاستعمار وبتجربتها الوحدوية . لكن اختلال التوازن هذا ، ضبط في الصراع السياسي المسلح على السلطة من قبل البورجوازية السنية الكبيرة . لأنه حين اصطدم فعليا بجدار الصدام بالامبرياليين الاميركيين ، بعد غزو المارينز الاميركيين للبنان ، اضطرت القيادة الناصرية باعتبارها قيادة بورجوازية وطنية في السلطة أن لا تحسم صراعها مع الولايات المتحدة . فتمت اتفاقية ناصر ، مورفي ، شهاب ، التي اقامت التوازن العربي الاميركي ، والتوازن اللبناني — اللبناني من جديد . هكذا استطاعت الطائفة السنية أن تعزز مواقعها في السلطة ، دون أن يطرح المد القومي المسألة اللبنانية على بساط العملية الثورية بشكل جذري .

الانتاج واللاانتاج

يقوم تحليلنا للنمط الوسيط ، على قاعدة أساسية ، هي استبداله للانتاج بالرواج .